هذه اللحون ، وتستوعب تلك اللغات ، فاغرقوا القواعد فى الشواذ ، وأفسدوا الاحكام بالاستثناء ، حتى ندر أن تستقيم لهم قاعدة ، أو يطرد عندهم قياس . وزاد فى هذه البلبلة أن أسرف أعاجم النحاة فى التعليلات الفاسدة ، والتقديرات الباردة ، منذ نهج لهم ذلك النهج ابن ابى اسحق الحضرمى ، فجعلوا النحو ضربا من الرياضة الذهنية ، والقضايا الجدلية ، التى لايصلها باللغة سبب ، ولا يقوم عليها فن ولا أدب .

ليس من شك فى ان دراسة النحو على هذا الشكل تفيد فى بحث اللهجات فى اللغة ، ودرس القراءات فى القرآن ، ولكن دراسته لضبط اللغة وتقويم اللسان امر مشكوك فيه كل الشك . نحن اليوم وقبل اليوم انما نستعمل لغة واحدة ، ونلهج فى الفصيح لهجة واحدة ، فلماذا لانجرد من النحو القواعد الثابتة التى تحفظ هذه اللغة ، وتقوم تلك اللهجة ، وندع ذلك الطم والرم لمؤرخي الادب ، وفقهاء اللغة ، وطلاب القديم ، على الا يطبقوه على الحاضر ، ولا يستعملوه فى النقد وانما يلحقونه بتلك اللغات البائدة التى خلق لها وتأثر بها ، فيكون هو وهى فى ذمة التاريخ وفى خدمة التاريخ ؟

لقد صنعت المدارس المدنية شيئا (١) من ذلك ، فنجحت بعض النجاح فى تجريد « نحو » عام يكاد يسير فى وجه واحد ، ولذلك لاتجد المتخرجين فيها يتقارعون فى النقد بالنحو القديم ، ويقصرون المناظرة على هذا الجدل العقيم . ولكن فريقا ضئيل الشأن من بقايا الثقافة القديمة فى مصر والعراق ، لايزالون يظنون انا مجبرون على اخضاع السنتنا واقلامنا لتلك اللهجات البالية ، فيقعد بهم تخلف الذهن وضعف الملكة وكلال الذوق ، عند هذه البقايا الأثرية ينبشون عنها قبور البلى ، ثم ينثرونها كالشوك فى طريق الادباء الموهوبين ، ويتبجحون بأن هذا اللغو هو اللغة ! !

يقرأون الكتاب القيم للعالم الباحث ، أو للاديب المجدد ، فيعمون عن خطر البحث في نفسه ، وبجهود الباحث فى بحثه ، ولا يرون الاحرفا وقع مكان حرف ، أو جمعا لم يجدوه فى كتب الصرف !

لانريد أن نسمي الاسماء ولا أن نضرب الامثال ، فحسب الشذوذ أن يدل على نفسه ، وحسبنا ان نهيب بالعلماء والادباء أن يشذبوا هذه الزوائد من لغتنا لتقوى ، وينحوا هذه الطفيليات عن ادبنا لينتعش .

الزيات

(١) تقول (شيئا) لان الكتب المدرسية لايزال فيها امثال الاسم الواقع بعد لاسيما وتابع المنادى والوجوه الخمسة فى المنادي المضاف الى ياء المتكلم !

رأى فى أوراق الورد

للآنسة عفيفة سيد

قلنا في العدد الحادى عشر فى معرض الرد على الآنسة الفاضلة عفيفة « ان في الادب العربى الحديث طرفة من هذا النوع الذي تريدين « الرسائل الغرامية » هى آية من آيات الفن في دقة الصنعة ، ولعلها لاتقل جمالا عن تماثيل « فدياس » وصور « رفائيل » ولكنها كهذه التماثيل وتلك الصور ينقصها شيء واحد هو كل شيء : ذلك هو الروح »

اردنا بتلك الطرفة اوراق الورد (وقد كتبناها سهوا رسائل الورد) للاستاذ الرافعى . ثم رجونا من الانسة عفيفة ان تقرأها وتبدى رأيها فيها ، فقرأتها ثم بعثت الينا بهذه الرسالة

سيدى الاستاذ

ما كان الأمر يحتاج الى رجاء « فرسائل الورد » او « اوراق الورد » اسم مشوق يستميل القلب ويستهوى النفس . ومن ذا الذي لا يسرع الى اوراق الورد لتبهج قلبه ، وتزيل كربه ، وتهذب احساسه ، وتغذى خياله ؟

غير انى لم اكد أطالع رسالتين من رسائل الورد حتى عرفت سبب الرجاء ، وقلت لعل الامر كان يحتاج الي الف رجاء . اذ وجدت ان من العسير علىّ بل من المتعذر أن امضى فى مطالعتها ، وكدت ان ابعث اليك برأيي فيها مكتفية بما طالعت ، غير أني وجدت من الاسراف ان احكم على الكتاب بقراءة رسالة او رسالتين ، فمضيت فى المطالعة والله يعلم كم مرة انقبضت نفسى ، وكم مرة اعترانى الملل ، حتى زهدنى فى ان ادلي برأيي فيها

ولعلك ياسيدى الاستاذ لو كنت دفعت بى الى الوراء سبعمائة عام مضت لوجدت في « البهاء زهير » صورة صادقة لنفسى ، ومرآة جلية لعواطفى وشعورى ، بل لذكرنى لفظه الرقيق ومعناه الدقيق رقة طبيعة مصر وعذوبتها ، بل لوجدت فى مقطوعاتها الحية مايجعلني ان اتخيل أن كاتبها معاصر لنا أكثر من كثير من معاصرينا الموجودين

حاولت ان اقف على الفكرة التى تدور حولها « أوراق الورد » فلم اوفق ، فهى رسائل مفككة لايتصل بعضها ببعض ، لاتترجم عن عواطف صحيحة ولا عن شعور صادق .

يعرض علينا الكاتب عواطف مبهمة فيها تكلف وفيها صنعة ، دون أن يبعث فيها شيئاً من شخصيته و ميوله وعواطفه . لا أثر فيها لروح الجماعة أو البيئة التى خضع لها الكاتب . هو متكلف متصنع ، والا لأطلق لشعوره العنان وترك نفسه على سجيتها، فلا يتسامى عن وصف الحياة الاجتماعية، ولا عن الحوادث اليومية، مما يسميه هو حشواً ، لان المترجم الصادق هو من يعنى بالصغيرة قبل الكبيرة فلا يتقيد بقيود لفظية ولا معنوية ولا يضع بيننا وبينه حجابا كثيفا

يسير الكاتب الى غرضه فى المعنى القليل الى كثير من التعقيد اللفظى ، ليخلق منه فلسفة ، فاذا أزاد أن يقول ماقاله شوقى :

لا أمس من عمر الزمان ولا غد
جمع الزمان فكان يوم لقاك

يقول فى صفحة ٢٤٥ :

« قد عرفنا ان لنا أعماراً محدودة ، أفلا يجوز ان ساعات الهناء والسعادة انما كانت محدودة لانها اعمار لاعمارنا ؟

فبضعة اشهر من الجفاء أو البعد يكون عمرها هو ساعة اللقاء التى تنفق بعدها ، وسنة كاملة من عمل يكون عمرها يوم سرور ان كان هذا صحيحا فما اقصر عمرك ياعمرى ! ...»

فها هو ذا شعر شوقى لرقة لفظه وسهولة معناه ، يكاد ان يكون نثراً ، اما نثر « اوراق الورد » فمحتاج الى طول اناة لتعرف قصده وتقف على مرماه .

أنا ياسيدى الاستاذ لم اعرف السر فى توجيهك نظري الى « أوراق الورد » فاذا كان قصدك ان تدفع بالبرهان قولك : ان الفن وحده لا يوجد الشعور فهذا الكلام لا يحتاج الى برهان ، وانا مؤمنة به كل الايمان . واما اذا كنت تعنى جادا أن تطلعني بقراءتها على جمال في الادب العربى الحديث ، لعله لا يقل جمالا عن تماثيل فدياس ، وصور « رفائيل » فارجو ان يسمح لى سيدى الاستاذ ألا اشاركه هذا الرأى ، فاوراق الورد لا جمال فيها اذ لا معنى لها ، والمعنى مصدر الروح ، وهو ان حل فى الشيء المادى كونه وناسب بين اجزائه ، وجعلها وحدة لا تنفصم .

إذن لا جمال حيث لا روح ولا وحدة ولا تعبير والمعنى مصدرها جميعا

أرجو ان يتفضل سيدى الاستاذ فيدلني على موضع الجمال فيما سانقله اليه نموذجا لما اشتمل عليه الكتاب من رسالة فى العتاب (صفحة ٢٠٧)

« ..... ما هذا ياسيدتى وليس خيط عمرى في ابرتك ... ولاما يتمزق من ايامى تصلحه « ماكينة الخياطة » بقدرتك ، وان كنت انا اقل من (انا) ، فلست انت باكثر من (انت)

« ...فان كان قلبك ياسيدتى شيئا غير القلوب . فانحن شيئا غير الناس ، وان كنت هندسة وحدها فى بناء الحب ، فما خلقت اعمارنا فى هندستك للقياس ، وهي قلبك خلق « مربعا » افلا يسعنا « ضلع » من اضلاعه ؟ أو مدورا افلا يمسكنا محيطه فى نقطة من انخفاضه او ارتفاعه ؟ وهبيه « مثلثا » فاجعلينا منه بقية فى « الزاوية » ، أو « مستطيلا » فدعينا نمتد معه ولو الى ناحية ... ما بال كتابنا يمضى سؤالا من القلب فيبقى عندك بلا « جواب » ، ونبنيه نحن على حركة قلوبنا فتجعلينه انت مبنيا على « السكون » ثم لامحل له من « الاعراب » ... الخ »

أما الصور والتماثيل التي تفوز منا باعجاب الجمال ، فيكاد أن يكون لها روح ، أو لها روح بالفعل من معانيها التى حدت بعبقرية المثال أو المصور الى تصوير الافكار الجياشة بمخيلته ، فهى معبرة عن الرجاء ، أو الحب ، أو الحكمة ، أو الخوف ، أو الوداعة ، أو الطهارة .

وسقراط كان يقول عن خبرة انه يجب على المثال ان يصور حالة الذهن فى تمثاله ، وكانت تماثيل الاغريق لها اثر كبير فى تقرير مزاج الامة .

هذا رأيي فى « أوراق الورد » وكم أحب أن أقرأ كلمة الاستاذ الفاصلة ..... ؟

والرسالة تترك الكلمة للاستاذ السيد مصطفى صادق الرافعى

اعتذار

جاءنا من الآنسة الفاضلة ناظرة محمد فهمى رد شديد على زميلتنا (النهضة النسائية) فرأينا الاعتذار الى الآنسة من حفظ المقالة ، أسهل علينا من فتح هذا الباب فى الرسالة .